53 - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم وا لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول ا ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند ا عظيما .

- 54 - إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن ا كان بكل شيء عليما .

هذه آية الحجاب وفيها أحكام وآداب شرعية وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب Bه كما ثبت ذلك في الصحيحين عنه أنه قال : وافقت ربي D في ثلاث : قلت : يا رسول ا لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل ا تعالى : { واتخذوا من مقام .

إبراهيم مصلى } وقلت : يا رسول ا إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتهن فأنزل ا آية الحجاب وقلت لأزواج النبي صلى ا عليه وسلّم لما تمالأن عليه في الغيرة { عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن } فنزلت كذلك وفي رواية لمسلم : ذكر أسارى بدر وهي قضية رابعة . وفي البخاري عن أنس بن مالك قال قال عمر بن الخطاب : يا رسول ا يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل ا آية الحجاب وكان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول ا صلى ا عليه وسلّم بزينب بنت جحش وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة في قول قتادة والواقدي وغيرهما قال البخاري عن أنس بن مالك : لما تزوج رسول ا صلى ا عليه وسلّم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي صلى ا عليه وسلّم ليدخل فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا فانطلقوا فجئت فأخبرت النبي صلى ا عليه وسلّم أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل ا تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا } الآية (رواه البخاري عن أنس بن مالك وأخرجه مسلم والنسائي بنحوه) .

وروى ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك قال : أعرس رسول ا صلى ا عليه وسلّم ببعض نسائه فصنعت أم سليم حيسا ثم جعلته في تور (الحيس : طعام خليط من تمر وسمن وأقط . التور : وعاء صغير للشرب) فقالت : اذهب بهذا إلى رسول ا صلى ا عليه وسلّم وأقرئه مني السلام وأخبره أن هذا منا له قليل - قال أنس : والناس يومئذ في جهد - فجئت به فقلت : يا رسول

ا بعثت بهذا أم سليم إليك وهي تقرئك السلام وتقول أخبره أن هذا منا له قليل فنظر إليه ثم قال : " ضعه " فوضعه في ناحية البيت ثم قال : " اذهب فادع لي فلانا وفلانا " فسمى رجالا كثيرا وقال : " ومن لقيت من المسلمين " فدعوت من قال لي ومن لقيت من المسلمين فجئت والبيت والصفة والحجرة ملأى من الناس فقلت : يا أبا عثمان كم كانوا ؟ فقال : كانوا زهاء ثلاثمائة قال أنس : فقال لي رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " جئ به " فجئت به إليه فوضع يده عليه ودعا وقال : " ما شاء ا " ثم قال : " ليتحلق عشرة عشرة وليسموا وليأكل كل إنسان مما يليه " فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " ارفعه " قال : فجئت فأخذت التور فنظرت فيه فما أدري أهو حين وضعت أكثر أم حين أخذت قال : وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول ا صلى ا عليه وسلّم وزوج رسول ا التي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط فأطالوا الحديث فشقوا على رسول ا صلى ا عليه وسلّم وكان أشد الناس حياء ولو أعلموا كان ذلك عليهم عزيزا فقام رسول ا صلى ا عليه وسلّم على حجره وعلى نسائه فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا وجاء رسول ا صلى ا عليه وسلّم حتى أرخى الستر ودخل البيت وأنا في الحجرة فمكث رسول ا صلى ا عليه وسلّم في بيته يسيرا وأنزل ا عليه القرآن فخرج وهو يتلو هذه الآية : { يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي } الآيات قال أنس : فقرأهن علي قبل الناس فأنا أحدث الناس بهن عهدا (رواه ابن أبي حاتم واللفظ له وأخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي بنحوه) .

فقوله تعالى : { لا تدخلوا بيوت النبي } حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول ا A بغير إذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام حتى غار ا لهذه الأمة فأخبرهم بذلك وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة ثم استثنى من ذلك فقال تعالى : { إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه } أي غير متحينين نضجه واستواءه أي لا ترقبوا الطعام إذا طبخ حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول فإن هذا مما يكرهه ا ويذمه وهذا دليل على تحريم التطفيل وهو الذي تسميه العرب الضيفن (صنف الخطيب البغدادي كتابا في ذم الطفيليين وذكر من أخبارهم أشياء يطول إيرادها) ثم قال تعالى : { ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا } عن ابن عمر Bهما قال قال رسول ا A : " إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرسا كان أو غيره " (أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر) وفي الصحيح أيضا عن رسول ا A : " لو دعيت إلى ذراع لأجبت ولو أهدي إلي كراع لقبلت فإذا فرغتم من الذي دعيتم إليه فخففوا عن أهل المنزل وانتشروا في الأرض " ولهذا قال تعالى : { ولا مستأنسين لحديث } أي كما وقع لأولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث { إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم } وقيل : المراد أن دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه

ويتأذى به ولكن كان يكره أن ينهاهم عن ذلك من شدة حيائه عليه السلام حتى أنزل ا عليه النهي عن ذلك ولهذا قال تعالى : { وا لا يستحيي من الحق } أي ولهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه ثم قال تعالى : { وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب } أي وكما نهيتكم عن الدخول عليهن كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب . { ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن } أي هذا الذي أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أطهر وأطيب وقوله تعالى : { وما كان لكم أن تؤذوا رسول ا ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند ا عظيما } قال ابن عباس : نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي A بعده قال رجل لسفيان : أهي عائشة ؟ قال : قد ذكروا ذلك وقال السدي : إن الذي عزم على ذلك (طلحة بن عبيد ا) Bه حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك ولهذا أجمع العلماء قاطبة على من أن توفي عنها رسول ا A من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين كما تقدم وقد عظم ا تبارك وتعالى ذلك وشدد فيه وتوعد عليه بقوله : { إن ذلكم كان عند ا عظيما } ثم قال تعالى : { إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن ا كان بكل شيء عليما } أي مهما تكنه ضمائركم وتنطوي عليه سرائركم فإن ا يعلمه فإنه لا تخفى عليه خافية { يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور } (نزلت الآية في طلحة بن عبيد ا قال : أيحجبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه بعده فأنزل ا هذه الآية . أخرجه ابن أبي حاتم وأخرج جوبير عن ابن عباس : أن رجلا أتى بعض أزواج الرسول فكلمها وهو ابن عم لها فكره الرسول ذلك فقال الرجل : يمنعني من كلام ابنة عمي لأتزوجنها من من بعده فنزلت الآية قال ابن عباس : فأعتق ذلك الرجل رقبة وحمل على عشرة أبعرة في سبيل ا وحج ماشيا توبة من كلمته)